في الشوارع الخلفية..
بحثاً عن عقيل علي

كاظم جهاد

— ١ —

خلف جنازير الموت ، وخلف الفزاعات ، وخلف الملهاة العصرية ، خلف النجمة ، خلف تجليك الاول ، ذكراه المحفوظة مثل مسامير حذاء الآلهة على القلب ، وخلف سقوطك ، موت خرافتك ، تلاشيك ، وخلف قيامك أبيض ، مرشوشا بالورد العشتاري ، وممسوحا بالبركات وميقات الشعر يكون مقيلي .

اني اصفّر كمنخاس الحداد على الجمر ، واحمّر ، ولا يعييني ترتيلي .

— ٢ —

كانوا شعراء جوابين يعبون الدجلة من قلبينا . كنت تقول : فراشات الروح خواب في ايديهم . مالوا بالود عليك ، فملت ، ومالوا بالود علي ، زهور طافية في الريح ، واسماك في القاع تصلصل ، يا محارات أثيبي عنا ، يا عبابات اليك فهذا درب الاطفال جبابرة الرب ، ويا كلمات انهرّي كالساقية التعبى بين يديه ، صغيري طفل يتهجى ، ويروح لمدرسة الاعشاب ، سفير جواب طفلي ، قلت : سلاما ، طفلي يبدع حرفا ، ويكور بين لسانيه كلاما عجبا ، ويداعب في اعينه الخمس طيوفا ما حملت منها الاجناس ولا عبتها غير سلالات الاطفال ، وقلت : سلاما ، قلت : سلاما ، حتى اعييت سكينة ذاك الرب ، وحتى فر الرسل لجوء منك اليك ، ورتلت ورتلت ، وكنت فصيحا ، مرا كنت مرائرك المحصاة كثار ، واللامحصاة بصرت بها تهدي في اليم النوتية ، وتسوي شطرنج الحرب ، وتحرف ساقية عن مجرى موبوء ، وتميل على الربات بعاطفة ، يا للسلوى ، يا للمن ، جنونا ، ما خلفت ولا خليت سواك ، لماذا انت وفير ؟ كيف ترى وفرت على نفسك اخطار الوفرة ؟ كيف ترى كاثرت لديك نبات الكثرة ؟ كيف اذن ما اجدبت ولا امحلت ؟ ترى هل شعبذت ؟ ترى ملست صخورا شيطانيات ، ثم ذررت ذرورك في عين الحراس فمال اليك البخت ؟ لماذا أنت وفير فيّ ؟ لماذا صرت قليلا عنك ؟ ترى مال الميزان اليك الى أبد ؟ شاغبت علي منامي . صارت اوقاتي ذاهلة فيك . والقمت انا حجرا .

كيف تعاليت ترى في الجو ؟ وكيف تدانيت بحيث تنوشك ادنى الحبات ؟ وقل كيف وسعت سماوات الفا ؟ كيف تماديت على تاريخ وأباطرة وملوك ، كيف حفظت شعوبا من ان تهوي في سافلة الجب ؟ وكيف سمعت حواريات وملكت نباهات وجمعت نبالات وذهبت لغزوات واتيت ببالات من فكر مضغوط ، من شعر موزون ومقفى وفق عروض الروح ؟ وكيف قعدت على السر وصرت امين الرب على خازنة الافعال ؟ وتوجت مليكا ما أبهاه ؟ ترى من اعطاك مقاليد الحكم وصرت الوالي في مملكة تعاس الورد؟ تراك تحايلت ؟ بلى ، شيطان ومجوسي ادريك ، وسحر الصابئة يمور بكفيك ، لذا تعيا لغتي من ان تحصيك ، اتحصى أنت ؟ وفير أنت ! لذا ما اضيعني فيك وما احوجني في برية روحك للتعويل عليك ، سلاما ، انت اما والله وفير ، تعيا لغتي تعيا لغتي تعيا لغتي فيك !

— ٣ —

كيف ترى ناظرت فلاسفة مدهوشين بك ارتدوا ؟ كيف ترى ادبت الحكماء ، وادليت يديك بقاع التنور فأنضجت الخبز ، وشددت الاصوات عليك وهذبت طباع الورد ؟ ترى كيف اذن دوزنت السيمفونيات وبهرجت القوطيات وقومت كنائس شدت مدارس صححت تقاويم واعددت فهارس ، كيف اذن ابعدت الوسواس عن الابطال ولاشيت الخشية في قلب الام وانزلت السورا ؟

كيف رششت علينا ماء من علياك فشافيت الاعمى والابرص ، كيف ترى قومت زحاف البيت واشفيت الغلة كيف ترى قومت النظرا ؟

— ٤ —

دربك درب الجن ، عقيل ، وروحك سعلاة .

— ٥ —

كانت حربك تلك ، وكنا في اردانك مخفيين (صغارك نحن) حصى او احجارا بيضا عبأت بها جيبيك وقلبك (كنت تحب نبات السرخس : كنت وفيا) ، كانت حربك تلك ، وجاءوا بصواريخ ، جاءوا بالدبابات السود

وبالطيارات الجهمة ، جاءوا بالمقلاع وكشافات الحرب ، ومدوا اسلاكا وعواميد ، وقاموا شحذوا بلطات وفؤوسا وسكاكين وغالوا سبع ورود ليكيدوك ، وايضا تصمموا ظهر الاطيار (حواريبك ... اتذكر ؟) جاءوا بالنبل وبالقوس النشاب وقاذفة القنبل ، بثوا في الامصار عيونا وجواسيس (ترى ماذا كان ليحكى عنك ؟) وضوحك القاهم في التيه وعباً ساعتهم بالرمل ، وعين الحاسد فيها عود (ماذا يحسد فيك ؟ نفضت جيوبك فانهمر الاملاق.. واعيتهم فضتك الروحية ، كنت رشيقا كنت رشيقا كنت ..) وكانت حربك تلك ، ولكن لست أطيل فأكتب تاريخ وقائعك المعلومة ، فلقد قلوا : كشفت ريح العصر مؤخرة القائد في الجو ، وظل يقطر ديدانا وعيوبا ، كانت حربك تلك ، ومن حينئذ اصبحت تنوش بكفيك ترى القيعان وتحضن في الراح جذور النجم .

— ٦ —

كنت سليل الجمر ، وكانت كفك مقلاة .

— ٧ —

أبني في الليل اساطيري اهدمها في الصبح . اصيّر صحبي ابطالا واباطرة (نبني ملكوت القلب) اهد السد بعاطفة لا تبطل ، فيئي يا اصوات الينا ، جيئي يا قفر بموسيقى « صاحية » وليتعال اذن قداس الورد ، يتامى ومهابيل بنا التفوا ، وليصخب في الدرب ضراط الامراء ، انهدي يا قارات سافلة تختال امامي بأبالسة لا شعريين وبالافرنج ، انهدي يا قارات سبعا ما عرفت بعد قيام الكلمة ، روحي ، جيئي ، ماذا فيك ؟ دوار وبرازات (فيك نهار الشعب ..) انهدي ، ها حلقت مع الغاوين ، اكسر في الكف حصى التنجيم ، واعجن من طين الرؤيا بيدي .

اني كالمتنبي كالمتنبي ، حدقت وقد فارقني المحبوب ، رأيت كثارا ، لكن ما ابصرت هنا من احد .

— ٨ —

من علمك ترى اغواء النار وترويض الموج ومن سواك عزيزا ؟ كيف اقمت القلعة من قعر البحر وجمعت من المرجان صفوفا عددا ، كيف ترى انشأت الافريزا ؟

لكن كيف ترى هومت ؟ وكيف خذلت ؟ ايحدث ايضا انك تهرم ؟ (حتى انت ؟) لقد واريت محبات الارواح بساقية ، أعطيت رسائل نفسي للاعداء ، واطعمت (بلى) منها زوج اخيك حروفا ، لوحت بها للرائح والغادي ، صيرت من النار حجابا غفلا ، ومن الحائط لا نافذة بل سفودا للاطيار ، ومن قلبك لا وطنا بل مستشفى ، محتالون بك التفوا ، عاذت منك الريح بحاشية القلب ، وفرت منك فراشات الرؤيا ! كيف ؟ ايحدث انك ايضا تذوي ؟ ومتى ابتدأ الترتيق ترى ؟ مذ لوحت بنص الاسفار وقلت : اقمنا ؟

— ٩ —

لا (انسي الحاج) ولا عينا (أدونيس) ولا كفا (فواز) تقيلانك من عثرات الحال . شوشت علي مجالي : بعضي يشتم بعضي فيك ، وتشخب في الانهار ، ويدحرني عنك فراغي منك ، وتجذبني نحوك عاطفة الابطال .

— ١٠ —

كيف اقودك للتاريخ وضوحا وسلالا مترعة بالكشف وعاطفة لا تعيا ؟ وسلالة اطفال شقر موهوبين ؟ وكيف اعيد اليك القدرة ؟ من اخصاك ؟ ومن اعقمك ؟ ومن اعطاك سوى ما تعطى ؟ من دبر لك هذا الكيد ، ومن ابهت فيك العيد ، ومن انساك التسديد ؟ ترى كيف افيء اليك فلا القى قدامي حسكا ، كيف امد يدا ادري ان لن تشوي ، كيف اقدم قلبا ادري ان لن يهجر ؟ كيف افيء اليك فألقى في كنفك جبابرة لا جوقا بطالا ؟ كيف افيء اليك فأعرف اني في الخير ؟ وكيف اميز فيك الغير ؟ اتغدو بوصلة حين يكون زماني ثانية صحراء ؟ اتغدو مرساة حين يفيض اليم وتعيا احوالي ؟ اتصير قطاة حين البوم يسد علي الرؤيا ؟ اتصير ترى (موزارت) اذ العقرب في الغرفات تصيء ؟ وهل ستقوّم من فوقي ميزاب الالهام اذا خيبني الوحي ؟ وتجلو لي فأس الاشعار اذا ما طاش السهم ؟ أأحلم فيك فأعرف اني في تخم الافعال وافعل فيك فأعرف اني في الحلم ؟ سلاما .. ستكون المعجزة حزامي واللاممكن مثواي اذا ما عدت كما كنت حساسينا ، او صيرت يديك كما من قبل جسورا .

وسلاما لو انا قلبناك ، ففوجئنا بالتخم المهجور يفجر ثانية اعراسا داهمة وقنابل كاذبة وحبورا .

وسلاما لو انك صرت السهل المتنع وصرت الصعب الميسورا .

— ١١ —

صر ثانية درب الجن وصل روحك بالله .

— ١٢ —

خلف تجليك الاول ، ذكراه المحفوظة مثل مسامير حذاء الالهة على القلب ، وخلف قيامك ابيض ممسوحا بالبركات يكون مقيلي .

ها اني اصفرّ كمنخاس الحداد على الجمر ، واحمرّ ، ولا يعيبني ترتيلي .

باريس